

الهجمة ضد السنة النبوية من خلال شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) والقنوات الفضائية

محمد داود عبد الله مصلح

مرحلة الماجستير-قسم الحديث

جامعة ملایا



مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^١. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^٢. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ. وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^٣.

أما بعد: فإن من نعمة الله تعالى أن قد اجتبي نبيه محمداً من بين خلقه أجمعين، وأرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، ليدعو إلى صراط الحق بلسان عربي مبين، وجعل سنته وحيا من الله الرحيم، فقال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^٤، ثم أمر باتباع سنته في محكم التنزيل فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^٥، وجعل طاعة الرسول من طاعة الله تعالى فقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِیْظًا﴾^٦، وجعل صدق محبة العبد لله باتباع نبيه وطاعته فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٧.

^١ (آل عمران/١٠٢)

^٢ (النساء/١)

^٣ (الأحزاب/٧٠-٧١)

^٤ من خطبة الحاجة التي رواها عدد من الصحابة، وأخرجها الأئمة في مصنفاتهم، كمثل النسائي في سننه (١٠٤/٣)، والترمذي (١١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢)، وغيرهم، وقد جمع طرقها وصححها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في جزء صغير وهو مطبوع.

^٥ (النجم/٤)

^٦ (الحشر/٧)

^٧ (النساء/٨٠)

^٨ (آل عمران/٣١)

وكان من سنة الله تعالى أن يجعل لكل نبي حواريين وأصحاب، ينصرونه ويأزرونه، فاجتبي من بين الخلائق أقواما، نالوا شرف اللقاء والصحبة، فعابنوا التنزيل، وشاهدوا أحوال الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، فتلقوا عن النبي آيات الكتاب المبين، ونهلوا من معين سنته والنور الذي أرسل به، فعلموا أن الأخذ بسنته هو اتباع لكتاب الله واستكمال لطاعته سبحانه.

ولم يفارق النبي صلى الله عليه وسلم هذه الدنيا إلا وقد أتم الله لأمته الدين، فكان شاملا لكل جوانب الحياة، وقد نعم المسلمون بهذا الدين قرونا وأجيالا متعاقبة، ففتحوا البلدان ونشروا الأمن والأمان والعلم والرفي والتحضر.

ولما كانت سنة الله الكونية أن يكون للحق دوما أعداء؛ فقد ظهر أعداء الإسلام منذ فجر الإسلام متمثلين بالكفار والمنافقين، ولقد تصدى لهم الحق سبحانه فبين أساليبهم وأحوالهم وطرق مواجهتهم، حتى انتصر الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وأخذ راية الحق من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، ذلكم الجيل الفريد الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، فتربوا على يديه، وتخرجوا من مدرسة النبوة الطاهرة، فكانوا جديرين بوجوب الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن العرياض بن سارية رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد تركتكم على البيضاء؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ...»^٩ الحديث.

فانظر كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتفي بالوصية بالتمسك بسنته إلا وقرن معها سنة أصحابه الكرام! وهذا بيان كاف للتمسك بسنتهم والاقتداء بفهمهم، فإن كانت السنة تفسر القرآن فإن هدي الصحابة يفسر السنة ويترجمها واقعا وعملا ومنهج حياة.

ثم انتشر العلم من بعد الصحابة على مر الأجيال إلى زماننا، ولا نجد زمانا من الأزمان يخلو من أعداء للإسلام ممن يتربصون السوء له ولأهله، فمنذ أن خرج ذو الخويصرة التميمي، وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: (اعدل)^{١٠}، إلى زماننا هذا الذي انتشرت فيه وسائل الإعلام الممزوجة بحرية الرأي المنفلت، إلا أنها اتخذت في زماننا منعى خاصا يتسم بالمركزية والتنظيم، بحيث صار وراءها مختصون في أساليب التأثير، ساعدتهم في ذلك أمور، منها:

١- عزوف كثير من أبناء المسلمين عن تعلم العلم الشرعي وتعليمه، مع الانبهار بالحضارة العصرية الجوفاء. وكان من شأن هذا أن حملهم على أن يأخذوا من حضارة أعداء الإسلام والسنة كل شيء بلا

^٩ الحديث حسن: أخرجه أحمد: (١٢٦/٤)، وابن ماجه: (١/٧٢)، الحديث رقم: (٤٣)، والدارمي: (٩٦)، وأبو داود: (٤٦٠٧)، والترمذي: (٢٦٧٦)، وابن حبان: (٥).

^{١٠} الحديث صحيح: أخرجه البخاري: (٢٤٣/٤)، حديث رقم: (٤٦١٠)، ولفظه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: (يَنْبَغُ نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَنَّهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْدِلْ فَقَالَ: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَغْدِلُ إِذَا لَمْ أَغْدِلْ؟! قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَغْدِلْ...» وَذَكَرَ الْحَدِيثُ..

تفتيش ولا دراية فانمسخوا -أو كادوا- في صورٍ وقوالب جوفاء، حتى بات الواحد منهم لا يعرف من الإسلام إلا اسمه، وإن سمع آية أو حديثاً اعتبره من الموروثات البالية التي لا محل لها في زماننا ولا أثر لها في مجتمعاتنا.

٢- انشغال كثير من العلماء وطلبة العلم بالوظائف وشؤون الحياة اليومية، مما جعل كثيراً من أنصاف المتعلمين يتصدرون المجالس ويفتون بأمور لا يخفى فساد مآلاتها.

٣- وجود منظمات ومؤسسات -من غير أهل الإسلام ١١ أو من غير أهل السنة ١٢- تعمل ليل نهار في دعم أهل الفتن والشبهات، فوجد الفاسدون من يناصرهم ويدعمهم.

٤- انتشار وسائل الإعلام سواء المرئية منها أو المسموعة، بل إن الانفجار المعلوماتي المتمثل بالإنترنت يعد أعظم صيحة إعلامية وعلمية وجدت إلى الآن، أضف إلى ذلك أيضاً القنوات الفضائية الممنهجة والمهدّفة والتي لا تعمل إلا من خلال استراتيجيات مرحلية وتكتيكية خبيرة.

الهجوم على السنة وسيلة للهجوم على القرآن:

هذه خلاصة الأسباب المعاصرة التي ساعدت على تسهيل أمر أعداء الإسلام للهجوم على السنة النبوية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا السنة؟! لماذا لم يتهجموا على الفقه أو أي فن آخر كاللغة أو أصول الفقه أو حتى التفسير؟! نعم قد نالها من الهجوم نصيباً، ولكنه لم يكن بالزخم والكيف والمنهجية التي رُتبت للتهجم على السنة النبوية، ذلك لأنهم علموا أن منبع العلم بعد القرآن هو السنة وأن حاجة القرآن للسنة أكثر من حاجة السنة للقرآن ١٣، أضف أيضاً أن القرآن وحي مجمع عليه، لا يقبل الزيادة ولا النقص ولا التصحيح أو التضعيف، فأرادوا الطعن في السنة ليتوصلوا من خلال إسقاطها إلى إسقاط القرآن.

خطوات أعداء السنة في نشر فسادهم:

ولنا نحن أهل الإسلام بعامة وأهل الحديث بخاصة: أن نحاول التعرف على منهج أعداء الإسلام، فإننا إذا نظرنا بصورة الفاحص لأساليبهم نجد أن الدعوات تنوعت، إلا أنها انصبّت على برنامج محدد لهم، فهم بين الفينة والأخرى يقومون بأعمال عظام ليقبسوا مدى انفعال الشارع المسلم، ومدى تأثير الحدث العظيم على أبناء الإسلام، فتارة يحرقون القرآن أو ينجسونه، وتارة ينشرون صوراً قبيحة عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم -قاتلهم الله-، وعلينا أن لا نظن أبداً أن هذا عبثي!

^{١١} كمثال المؤسسات الكنسية، وكمثال مؤسسة راند الأمريكية (RAND Corporation) والمعنية بإنشاء تقارير ترسم من خلالها خططا للسياسة الأمريكية في التعامل مع الأحداث في العالم أجمع، ومنها منطقة ما يسمى به (الشرق الأوسط).

^{١٢} أعني بهم من ينتسبون لمذاهب معادية للسنة أو من يتلبسون الإسلام وإن كانوا ليسوا منه كالرافضة والأحمدية والدروز والنصيرية وغيرها من أفكار ومذاهب منحرفة عن الإسلام وأهله.

^{١٣} قال الإمام الأوزاعي - رحمه الله -: (الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب). انظر: البحر المحيط - للزركشي: (٦ / ١١).

لأنهم في غنى عن حرق القرآن وتلكم الأفعال المشينة الأخرى، ولكن هذا أسلوب ليقيسوا نتائج تأثر المسلمين بما بثته الفضائيات وما تم دسّه من أفكار خبيثة يراد زرعها في نفوس المتابعين لهم، ثم بعد تقييمهم للوضع والمتمثل: في تحديد مستوى الجهل ومستوى البعد عن الهدى النبوي في معالجة الأمور، ينتقلون للمرحلة الأخرى من التجهيل ومسح مفاهيم الأمة عبر إيجاد دعاة مستأجرين -من ذوي المآرب- أو مستغفلين؛ ليكونوا أبواقا لتمير مخططاتهم الرامية لتشويه صورة الثوابت لأجل الهجوم الفكري على أمة الإسلام.

يقول عثمان محمد علي^{١٤} ضمن مقالته التي يدافع فيها عن فكر القرآنيين العصريين وما قدموه -زعموا- كخدمة للإسلام والمسلمين: (...وبذلك أصبحت المحرمات والمسلّمات والثوابت السابقة وبذلك المزعومة مادة ممكنة للبحث والاستنباط والتمحيص والمناقشة واستخراج سوءاتها وسيئاتها وتعريتها وتعرية رجالها، لتتعلم من أخطائها ولنفرق من خلالها بين الإسلام والمسلمين وبين ما في القرآن وما طبقه المسلمون ولتتعلم أن نقف مع الحق ولو كان ذلك على حساب رجال كنا نعدّهم من الصالحين ظاهرياً مثل الصحابة والتابعين والفقهاء، فنحن تعلمنا من القرآن أن الحق فوق الرجال وليس العكس...). هكذا قال! وانظر كيف أراد من تمسحه -وزمرته الآثمة- بالقرآن -زعماء- أن يطلعن في ثوابت الأمة وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هو ينتقصهم بألفاظ بينة السوء كقوله:

(ولو كان ذلك على حساب رجال كنا نعدّهم من الصالحين ظاهرياً مثل الصحابة). هكذا قال! ولست هنا في معرض التفنيد لشبه القرآنيين وأباطيلهم، إلا أن كل من قرأ كتاب الله علم يقينا بطلان ما يقولونه، وأن الله في كتابه قال: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ). ١٥، وقال سبحانه: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). ١٦. فجعل سبحانه إيمان الصحابة مقياساً لإيمان غيرهم، وربط الهداية في مماثلة إيمانهم، فأى سوء أفضى إليه القرآنيون؟!، وأي مرتع وخيم وقعوا فيه عن قصد أو غير قصد؟!

وهم وإن تمسحوا بالقرآن وزعموا أنهم معتنون به إلا أنهم غير صادقين بل هم يريدون من ذلك إسقاط ما دونه من مصادر للسنة ليسهل لهم أن يتلاعبوا في ألفاظ القرآن، فهم على دراية بأهمية السنة للقرآن تبياناً وتفسيراً وتخصيصاً وتقيداً، لذا فقد أرادوا طعن الإسلام بالنيل من الصحابة الذين هم نقلة الدين وحملته.

^{١٤} موقع القرآنيين:

http://www.ahl-alquran.com/arabic/printpage.php?doc_type=1&doc_id=2908

^{١٥} (الحشر/١٠).

^{١٦} (الزخرف/١٣٧).

وسائل أعداء الإسلام المعاصرة في محاربة السنة:

لقد اتخذ أعداء السنة في عصرنا وسائل كثيرة، منها ما هو قديم أعادوا استعماله بأسلوب حديثي، ومنها ما هو مستحدث جديد، إلا أنه يمكننا تلخيصها في النقاط التالية:

١- إنشاء مؤسسات من شأنها دراسة الأوضاع، وتقييمها، ووضع الخطط التي من شأنها محاربة الإسلام والسنة وتغيير المفاهيم، كمؤسسة راند الأمريكية.

وهذه المؤسسات لها دور فاعل في محاربة السنة وإعداد كل ما من شأنه أن يساعد على هذه المخططات، فهم يسعون لإيجاد ما يسمى بالإسلام الليبرالي، ويضعون لهذا الميزانيات التي تصل لملايين الدولارات لتحقيق هذا الأمر.^{١٧}

٢- دفع بعض ذوي المآرب للتحديث بدلا عنهم -سواء علموا أو لم يعلموا-، وتسهيل جميع الوسائل مما يحقق المصلحة المرجوة، وإيجاد من يصلح أن يكون بوقا لهم رصدت الأموال والميزانيات لهذا الأمر.

وذلك ما نتج عن قرارات مؤسسة راند حيث قام (مركز ابن خلدون الذي يديره الدكتور سعد الدين إبراهيم بتنفيذ التوصيات الأميركية الخاصة بالإسهام في إعادة (بناء الدين الإسلامي) بما يتفق مع القيم الأميركية، ونُظِم في القاهرة مؤتمراً موضوعه (الإسلام والإصلاح) بمشاركة ٢٠ باحثاً من جنسيات عربية وأوروبية وأميركية بالتنسيق مع ثلاثة مراكز بحثية دولية وهي مراكز (سابان) لدراسات الشرق الأوسط التابع لمعهد (بروكنجز)، ومركز دراسات الإسلام والديمقراطية بواشنطن، ومنبر الحوار الإسلامي بلندن، إضافة إلى عدد من الباحثين والأكاديميين من الدول العربية وأميركا وأوروبا. وقد صدر بيان عن المؤتمر ذكر فيه أنه تبني الدعوة إلى:

- إعادة صياغة نسق معرفي جديد للفكر الإسلامي
- ومراجعة التراث الإسلامي مراجعة جذرية
- والتصدي لأفكار المؤسسات التي تحتكر الحديث باسم الدين
- ومواجهة وتفنيذ مقولات ورؤى وأفكار التيارات الدينية المتطرفة، وتكثيف الحوار مع القوى المعتدلة والمستنيرة في المجتمعات الغربية عامة والمجتمع الأمريكي خاصة
- وأهمية إدماج الحركات الإسلامية في العملية الديمقراطية، وتمكين الحركات المعتدلة من حق الوجود السياسي إذا قبلت بالديمقراطية كخيار استراتيجي، وأقرت بالمبادئ الأساسية التي تقوم عليها قيم المجتمع المدني والدولة المدنية الحديثة، وضرورة إجراء حوار عام موسع مع تيارات الإسلام السياسي السلمي.

^{١٧} انظر: مقالة بعنوان: (الإسلام الليبرالي من التخطيط الاستراتيجي إلى التطبيق العملي - السيد ياسين) المصدر:

<http://www.alwihdah.com/identity-and-citizenship/islam-and-liberalism/2010-04-26-2393.htm>

• غير أن أخطر توصية تبناها المؤتمر هي؛ دعوته إلى تنقية التراث الديني من الحديث النبوي الشريف، والاعتماد فقط على نصوص القرآن الكريم كمرجعية وحيدة، والتصدي لأفكار المؤسسات التي تحتكر الحديث باسم الدين وخلق مدرسة اجتهد جديدة في القرن الحالي^{١٨}.

٣- نشر الشائعات والتي تعزز المفاهيم المغلوطة، مأسلين بذلك لأسلوب تجهيلي في تبني الاعتقادات والأفكار.

٤- تشويه صورة أهل العلم كقولهم رجعيين أو متشددين، في حين أنهم ينعتون أنفسهم بالمعتدلين أو الوسطيين! بالرغم من أن الوصف الشرعي لهم هو الفسق على أحسن أحوالهم.

٥- عرضهم للبرامج والأفلام والمسلسلات التي تمرر أفكارهم لأذهان المستمعين والمشاهدين دون أن يشعروا بذلك، كنحو استهزاء بحكم شرعي، مع إضفاء صورة السلامة في مخالفة الشرع.

٦- نشرهم لأفكارهم المنحرفة في المنتديات وخصوصا على موقع يوتيوب، ليصل لأكبر عدد من المشاهدين عبر العالم.

٧- بعد الانفجار المعرفي المعاصر بدأ أعداء الإسلام ينتهجون منهجا يلبسون على الجهلة به، فإن أغلبيهم لم يعد يفصح عن عدائه صراحة؛ وإنما يعرضون أفكارهم المنحرفة باسم العلم والرأي والرأي الآخر، والمشكلة تكمن في أن الجاهل أو قليل البضاعة العلمية قد ينجرف وراء ترهاتهم، والتي لو وزنت بميزان العلم والسنة لبان عوارها بسهولة ويسر.

المطلب الأول: الهجمة ضد السنة النبوية من خلال القنوات الفضائية

لقد شهدنا في الآونة الأخيرة توسعا كبيرا في انتشار القنوات الفضائية الخاصة، وقد تنوعت أهدافها وما تقدمه من مواد، حتى بات الكثيرون ممن يصح أن نطلق عليهم بأنهم: مدمنون على متابعة القنوات الفضائية.

ومع التقدم التكنولوجي باتت القنوات اليوم تتفنن في تزيين قنواتها بما يبهري العيون ويجذب العقول نحوها، لكن المتابع للقنوات الفضائية بنظرة الفاحص سيجد -وبأدنى جهد- من أن لكل قناة هدف تسعى لتحقيقه.

والذي يهمنا هنا؛ هو تلكم الأهداف التي يراد من خلالها إعادة برمجة عقول أبناء الأمة الإسلامية لسلخهم عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فقد اتخذت تلكم القنوات عدة أساليب للتهجم على السنة وأهلها، ومنها:

١- تقديم بعض أهل الانحرافات الفكرية والقلبية على أنهم مفكرون أو مبدعون، كالعلمانيين والليبراليين والملاحدة، وعمل المقابلات التلفزيونية لهم ليثبت الواحد منهم سمومه في قوالب مزوقة باسم الفكر والعلم، بل قد يتجاوز الأمر لتقديم بعض أنصاف المتعلمين ممن رغبوا في الشهرة

^{١٨} المصدر السابق.

والنجومية -على حد التعبيرات العصرية- على أنه من علماء السنة وممن تأهل للبت في شؤون الأمة -الإسلامية- المصرية.

٢- بث روح الفرقة والعداء بين أفراد الأمة الواحدة باسم الحريات تارة، والحقوق تارة أخرى، بل ربما تلبس مقدمي البرامج في تلكم القنوات بادعائهم الحيادية، ليحرشوا بين الأطراف المتحاور، بحجة أنهم راغبون في معرفة الصواب، إلا أن المتابع لهم يلحظ جليا أنهم يثيرون الزوابع حول الأمور التي يرغبون في ترسيخ مفاهيمها في عقول المتابعين لهم.

٣- نشر القنوات الفضائية المخالفة لدين الله وسنة نبيه الكريم، كالقنوات الشيعية الرافضية والتي بلغت أكثر من ٤٠ قناة، والقنوات الخاصة بالأحمدية، وغير ذلك من قنوات فضائية متعدّدة مختلفّة الاتجاهات، أخذت على عاتقها حرب العقيدة السليمة والطعن فيها وتشكيك المسلم فيها، وأخرى أخذت على عاتقها تدمير قيم الأمة وأخلاقها، وأخرى اتخذت مساراً آخر لتفكيك الأمة والطعن في بعضها البعض محاولة إيجاد البغضاء بين الشعوب الإسلامية، والهدف من هذه القنوات كلها هو محاربة السنة النبوية من داخل من ينتمون إلى الإسلام -ولو اسما-، في سعي جاد وحثيث بكل وسيلة لسلخ أبناء السنة عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلا يهم إن تحولوا لشيعة أو أحمدية أو غير ذلك من الأفكار شريطة أن تكون منافية للإسلام، بل بلغ بكثير من القنوات أن تطعن صراحة في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، واتخذوا من جهل كثير من المستمعين وسيلة لتمرير كلامهم على أنه حق^{١٩}، إلا أن أهل السنة -ولله الحمد- قد تصدوا لهم في قنوات مضادة -وإن كانت قليلة-، فبينوا زيف كلامهم وسوء استدلالهم، وانكشف حال أعداء السنة في أنهم يستدلون من الحديث بالموضوع المكذوب أو الضعيف الذي لا يقوى على النهوض أبداً، أو يستدلون بكلام مبتور، كل ذلك محاربة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما ما أثاروه من شبه في قنواتهم حول السنة النبوية؛ فإنها تدور حول المحاور التالية:

- أهمية السنة ومكانتها وحجيتها.
- دعوى ترك السنة والاكتفاء بالقرآن.
- الطعن والتجريح في كتب السنة، وعلى رأس ذلك صحيح البخاري ومسلم.
- الطعن والتجريح في الصحابة ورواة الحديث.
- نشر الأحاديث الموضوعة والواهية، والاحتجاج بها للطعن والتشغيب.
- التسرع في الحكم على الحديث بغير علم ولا دراية وإنما بالرأي والذوق.
- محاولة تطويع السنة للعقل والرأي، وإلباسها لبوساً يتوافق مع أهوائهم من علمانية وليبرالية ونحوها.

^{١٩} كما هو الحال في القنوات الشيعية الرافضية وخصوصاً قناة فـدك، وقناة الكوثر.

المطلب الثاني: الهجمة ضد السنة النبوية من خلال شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)

بعد انتشار القنوات الفضائية انتشرت المقاطع المصورة بشكل مهول عبر موقع اليوتيوب، وهو بهذا يعتبر أوسع انتشارا للأفراد، حيث أنه لا يقدر كل أحد على أن يُظهر أفكاره وما يريده عبر القنوات الفضائية، لذا وجد أولئك الأشخاص في اليوتيوب فرصة لإيصال ما يريدونه سواء أكان خيرا أم شرا. فبأقل جهد تستطيع أن تقف على كل الأفكار الهدامة، سواء منها صريحة العداء والسوء أو ذات المسلك الممنهج بقوالبه الحديثة.

بل إننا قد لا نكون مبالغين إن قلنا بأن خطر الهجمات على السنة وأهلها من خلال الشبكة العالمية يفوق بكثير خطر القنوات الفضائية، إذا أن ما يعرض على الفضائيات يعاد تحميله على الشبكة العالمية، فهي إذا شاملة لما يبث عبر القنوات الفضائية، ناهيك أيضا عن إمكانية متابعة القنوات الفضائية من خلال البث المباشر عبر المواقع الإلكترونية.

لذا فإن من يتابعون الشبكة العالمية هم شريحة تعد بالآلاف الملايين! وليس هذا بعجيب، فقد نشرت جريدة الرياض^{٢٠} في إحدى أعدادها عن إحصائيات تتعلق بالشبكة العالمية (الإنترنت) وعدد مستخدميها، وذكرت أرقاما مذهلة ومنها: (...عدد مواقع الانترنت مع نهاية ٢٠١١ بلغ ٥٥٥ مليون موقع و٢,١ مليار مستخدم للإنترنت).

ويهمني هنا من إحصائيتهم ما يتعلق بأمرين اثنين، وهما: شبكات التواصل الاجتماعية، وموقع يوتيوب، وذلك لما للأول من احتكاك مباشر بين الأفراد والجماعات مما يسهل بث الشبهات حول السنة النبوية وتشكيك المسلم في دينه.

ولما للثاني (اليوتيوب) من دور فاعل في نشر المشاهد التي يراد لها أن تصل للمشاهدين من غير حشو، لتحقيق المقصود بأخصر طريق، أضف ما يتم من خلال التعليقات من رد أو تعزيز للأفكار والأهداف من تلکم المشاهد، وقد ذكرت أيضا جريدة الرياض في إحصائيتها، فقالت:

(...الشبكات الاجتماعية: عدد مستخدمي فيسبوك مع نهاية عام ٢٠١١ أكثر من ٨٠٠ مليون شخص، عدد المشتركين الجدد في فيسبوك مع نهاية عام ٢٠١١ نحو ٢٠٠ مليون شخص، عدد حسابات تويتر مع نهاية عام ٢٠١١، ٢٢٥ مليون حساب، عدد الحسابات النشطة في تويتر ١٠٠ مليون حساب، عدد التعليقات (TWEETS) المرسل في اليوم ٢٥٠ مليون تعليق، عدد حسابات الشبكات الاجتماعية في العالم ٢,٤ مليار.

الفيديو: عدد مقاطع الفيديو التي تمت مشاهدتها في يوتيوب (YouTube) حول العالم: واحد تريليون مقطع، ما مقداره ٤٨ ساعة من مقاطع الفيديو يتم تحميلها كل دقيقة في يوتيوب، عدد مقاطع الفيديو المشاهدة شهريا في عام ٢٠١١، ٢٠١,٤ مليار مقطع).

^{٢٠} موقع جريدة الرياض: <http://www.alriyadh.com/2012/01/29/article705255.html>

وعندما نتصفح اليوتيوب فإنه يعيننا هنا تلكم المشاهد والفيديوهات التي تهمننا في موضوعها، فنجد أن الهجمات تتخذ محاور عدة متمثلة باتجاهين اثنين، هما:

الأول: الشدة وسوء الخلق والتفلت من أي أدب أو خلق أو قيم.

والثاني: مدعي المنطقية وحرية الرأي.

يجمعها كلها: المكر والكذب بكل وسيلة، لتصيد الشباب المسلم الغير مختص بجانب شرعي أو علمي، ليبثوا سمومهم ويتصيدوا ضحاياهم.

ومثال على هذا ما قام به الرافضي ياسر الحبيب في طعنه بأم المؤمنين رضي الله عنها وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بأقسى عبارات، بل والطعن في كتب السنة كالبخاري ومسلم بأساليب أعف عن ذكرها، وقد تبرأ الكثير من الشيعة منه بعدما تكاثرت الردود من أهل السنة عليه بالخصوص وعلى الرافضة بالعموم وفضحوا عقائدهم الفاسدة مستدلين بذلك من كتب الشيعة أنفسهم.

فلما انكشف حال الرافضة وسوء مقالهم وأفعالهم، بدؤوا باستخدام أسلوب جديد يرتسم بطابع العقلانية وحرية الرأي لتمرير أفكارهم وأراجيفهم، فخرج علينا بعض الأشخاص ليهجم على سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، بل ويطعن في الثوابت كصححة البخاري ومسلم، وهو داعية في النمسا يسمى: عدنان إبراهيم، وقد تتبعته كثيرا من نقولاته وطعوناته فما وجدتها إلا أكاذيب وأراجيف، فتراه يحتج بروايات لا يثبت منها شيء، وتارة يحتج بقصص في كتب الأدب لا زمام لها ولا خطام بل قد يكون مألفوها من الشيعة المتعصبة، وكثيرا ما يقحم رأيه وعقله لرد الأحاديث والتهجم على ثوابت السنة الشريفة.

وبنظرة فاحصة أيضا فإننا نجد أن التعليقات على مشاهد اليوتيوب لا تقل أهمية عن المشهد نفسه إذا أننا نجد كثيرا من الأخوة الغيورين على سنة نبهم يقومون بالتعليق والتوضيح أو الرد والنقد مع النقض لتلكم الشبه والأراجيف الكاذبة، والذي أراه أنها ذات أهمية كبيرة في رد شبهات أعداء الإسلام، فمن خلال اطلاعي على ما كتب وقراءتي للمشاركات؛ وجدت عددا لا يستهان به ممن يتابعون النقاشات والتعليقات ممن نكتت الشبه في قلوبهم، فيسهل عليهم تخطي تلكم الشبهات من خلال قراءاتهم للتعليقات التي يقوم بها أهل السنة هناك.

المطلب الثالث: وسائل مقاومة الهجمة على السنة النبوية عبر القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية.

ولسائل أن يتسائل: أليس ثمة قنوات ومواقع لمواجهة تلكم الشبهات والطعونات؟!

أقول: نعم فإن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم مستمر باقي إن شاء الله، وقد قام الكثير من أهل السنة الغيورين على مواجهة تلكم الحملات المسعورة، من خلال:

١- إنشاء القنوات الفضائية:

تم إنشاء عدد من القنوات الفضائية لِيُتَصَدَّى من خلالها لشبهات أهل الضلال من شيعة وعلمانية وغيرها، وأخص بالذكر هنا قناتي وصال وصفا؛ فإنهما من أكثر القنوات التي ردت على شبهات أعداء السنة، بل قد تم من خلالها عقد نقاشات مباشرة معهم، والجميل في تلكم النقاشات أنها اتسمت بالعلمية والقوة بحيث وُوجه المخالف بأدلة من كتبه في إبطال طعوناته الموجهة على السنة النبوية، وعلى مصادر الإسلام الثابتة.

٢- إنشاء المواقع الإلكترونية:

أ- المواقع المختصة بالدفاع عن السنة، وكشف شبهات أعدائها:

تم إنشاء الكثير من المواقع الإلكترونية في الرد على شبهات أعداء الإسلام من نصارى وعلمانيين وشيعة وملاحدة وغيرهم، ومنها:

- منتديات أتباع المرسلين^{٢١}: في الرد على شبهات النصارى.

- شبكة الدفاع عن السنة^{٢٢}: في الرد على شبهات الروافض الشيعة.

وأما العلمانيين والملاحدة فإن شبههم في الغالب لا تعدو كونها اجتارا لما يثيره النصارى والشيعة، وما جد من شبه حديثة فإننا نجدها مبثوثة ضمن مواقع أهل السنة والله الحمد.

أ- المواقع المختصة بنشر السنة وخدمتها: ^{٢٣}

وجدت كثير من المواقع المختصة في نشر السنة النبوية، دون أن تختص في رد شبه أو نقاش، كمثال:

- موقع: الإسلام الدعوي الإرشادي^{٢٤}: وهو تابع لوزارة الأوقاف السعودية، ويشرف عليه معالي الشيخ صالح آل الشيخ.

وهذا الموقع يخدم كافة جوانب الإسلام، ومنها السنة النبوية، حيث يقدم الموقع خدمة البحث ضمن الكتب التسعة وشروحاتها، وكتب متون أخرى^{٢٥}، كما تجدر الإشارة أن الموقع يعرض خدماته المتقدمة الذكر بسبع لغات مختلفة وهي: العربية، والفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، والتركية، والملايوية، والإندونيسية.

^{٢١} <http://www.ebnmaryam.com/vb/>

^{٢٢} <http://www.dd-sunnah.net/forum/>

^{٢٣} انظر: ندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية - الدكتور جمال أحمد بادي، الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العامة بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا: <http://uqu.edu.sa/page/ar/19106>

^{٢٤} <http://www.al-islam.com/>

^{٢٥} وهي: مصنف ابن أبي شيبة، وسبل السلام للصنعاني، وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد، ومشكل الآثار للطحاوي، وشرح معاني الآثار للطحاوي، والتلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني، طرح التثريب لزين الدين العراقي.

- موقع: الدرر السنية^{٢٦}: وهو من أفضل المواقع باعتبار نوعية وجودة الخدمات الحديثة فيه، ويشرف عليه: الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف.

والموقع يخدم كافة جوانب الإسلام أيضاً، وبالنسبة للحديث فإن نطاق البحث فيه واسع، ومن أهم مميزاته:

يوفر الموقع للباحث خدمات مهمة من خلال إمكانية البحث في هذه الموسوعة واستعراض الأحاديث ودرجتها من حيث الصحة والضعف.

يمكن للباحث في هذه الموسوعة أن يحدد إطار البحث، وللمتصفح عدة خيارات من بينها:

أ- الاطلاع على أحكام محدث واحد على أحاديث معينة في أحد كتبه.

ب- الاطلاع على أحكام محدث واحد على أحاديث معينة في مؤلفاته كلها.

ت- الإطلاع على كل ما قيل في الحديث المعين عن الطريق اختيار البحث في المؤلفات كلها بضم قائمة جميع المحدثين.

يمكن البحث عن كلمة مفردة أو عدة عبارات أو جملة بأكملها.

كما تجدر الإشارة إلى أن الموسوعة تضم أحكام العلماء المعاصرين على الأحاديث النبوية أمثال الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ أحمد محمد شاكر والشيخ الألباني والشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمهم الله تعالى.

كما تنبغي الإشارة إلى أن هذه الموسوعة تخضع للتحسين والتطوير المستمر، حيث أنه يضاف إليها العديد من المصادر الحديثة كل مدة معينة لتوسيع دائرة السنة التي تغطيها خدمات هذه الموسوعة، والنسخة المستخدمة الآن هي النسخة الجديدة من الإصدار الثالث.

٣- إنشاء غرف للحوار والدفاع والدعوة للحق:

أيضاً فقد تم فتح غرف للحوار والنقاش والدعوة إلى الله على برنامج البالتوك، كمثل:

غرفة منهاج السنة السرداب، و غرفة أنصار أبناء عائشة آل محمد عليهم السلام، كلاهما في الرد والنقاش لشبهات الشيعة الروافض والدعوة إلى السنة النبوية والدفاع عنها.

وغرفة الحوار الإسلامي المسيحي:

الأولى: في دعوة النصارى ونقاشهم في كتابهم المقدس.

والثانية: في الدفاع عن دين الله باللغة الأجنبية.

والثالثة: في الرد على شبهات أعداء الإسلام والدفاع عن السنة النبوية.

والحق يقال بأن للأخوة هناك جهود عظام في الدفاع عن السنة ودين الله العظيم، ونتاجهم الدعوي ملموس وكبير بفضل الله تعالى، إلا أنهم بحاجة إلى رعاية من أهل العلم وتوجيهاتهم. ومن الغرف أيضا غرفة ابن الصلاح: وهي غرفة معتنية بنشر علم الحديث خاصة، تعلموا وتعلما، وقد طرح عليها الكثير من مجالس السماع للصحاح والسنن، وشروحات لكتب الحديث والمصطلح أيضا.

٤- على مستوى الجامعات:

ومن الوسائل أيضا: توجه الجامعات في طرح دراسات تتسم بحل مشكلات العصر الحاضر، والرد على الشبهات الموجهة للسنة النبوية، وعقد المؤتمرات والمحاضرات المعنية بهذا الأمر.

